

نهج السعادة

[68] حتى الرعاة، فلما بلغه إنه محصور قال: (الغير يضرب والمكواة في النار) (20) ثم بلغه قتله فقال: أنا أبو عبد الله أني إذا حككت قرحة أدميتها - أو قال: نكأتها - . ثم دعا أبنيه عبد الله ومحمدا فقال: ماتريان ؟ فقال له عبد الله: قد سلم (لك) دينك وعرضك الى اليوم، فأقعد بمكانك. وقال له محمد بن عمرو أخملت نفسك وأمط ذكرك فأنهض مع الناس في أمرهم هذا، ولا ترض بالدنية في العرب، فدعا (عمرو وردان مولاة فأمره بأعداد ما يحتاج إليه، وشخص الى معاوية، فكان معه (وهو) لا يشركه في أمره، فقال له (عمرو:) أني قصدت اليك وأنا أعرف موضع الحق، لتجعل لي في أمرك هذا خطأ إذا بلغت ارادتك، ولأن تشركني في الرأي والتدبير. فقال له (معاوية): نعم ونعمت عين قد جعلت لك ولاية مصر (21) فلما خرج من عند معاوية قال لأبنيه: قد جعل لي ولاية مصر. فقال له محمد إبنه: وما مصر في سلطان العرب ؟ فقال: لا أشبع الله بطن من لم تشبعه مصر. * (هامش) هذه من الأمثلة الشائعة بين العرب تضرب لمن يجزع ويضطرب قبل وقوع ما يتوقعه من المكاره والشدائد، ومثله في اللغة الفارسية قولهم: (بيش از مرگ واويله ميکند) وهذا مذموم ومورد استعجاب صدوره من الأكابر، وذلك لأن الغير - وهو الأبل أو الحمار - إذا يداوي جرحه بالكي فبمجرد وصول المكواة الى الجراحة وإحساس شدة حرارة المكواة تختل ما سكته فيضرب ويخرج ما في جوفه من الأرياح وأما قبل الكي وفي حال كون المكواة في النار فإنه يضبط نفسه، بخلاف الإنسان الجزوع الجبان فإنه يوجد بنفسه وتختل قواه وحسه بمجرد وضع المكواة في النار كي يكوى بها. (21) قد عرفت وستعرف أيضا إنه لم يجبه الى أعطاء مسؤوله إلا بعد تشاح ومكايدة كل منهما لصاحبه، ففي العبارة تسامح.